ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

حزب الله «يحتلّ» الجبهة الشمالية للكيان

وفاء بهاني

سبعة أشهر من استنزاف جيش العدو الإسرائيلي على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة، عشرات الآلاف من قطعان المستوطنين النازحين لا يجرؤون على العودة بل لا تملك حكومة سفّاح العصر نتنياهو قرار إعادتهم، والأهمّ من ذلك كله ما حققته المقاومة في لبنان من فرض معادلات جديدة أرساها الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن

نصر اللّه منذ الأيام الأولى لدخول المواجهة.

هُشِّمت صورة الجيش الذي قيل إنه لا يُقهر ومعها أُسقطت قوّة ردعه ووقفت قوات نخبته عاجزة عن فعل أيّ شيء والأهم من ذلك هو سحق عقيدته القتالية التي بُنيت منذ أيام بن غوريون على سبعة قواعد أساسية هي: الهجوم؛ النصر الحاسم؛ التقليل من الخسائر؛ المبادرة بالضربة الأولى؛ شن ضربة وقائية؛ حرب خاطفة؛ نقل المعركة إلى أرض العدو. كل تلك القواعد نسفتها المقاومة في عدوان تموز ٢٠٠٦ وزادت في تفتيتها بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وهو ما أقرّ به رون تيرا في مقال نشره معهد دراسات الأمن القومي تحت عنوان: «عقيدة الحرب الثانية في إسرائيل» وبات حديث الإعلام الصهيوني عن تراكم هزائم نتنياهو. وهو ما تحدث عنه رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي تساحي هنغبي للقناة ١٢ الصهيونية قائلاً: كلّ كلام عن عودة المستوطنين الى الشمال هو غير جدّي، فحزب اللّه ملتزم بدعم حماس لطالما استمرت الحرب في غزة وإذا ما تمّت إعادتهم من سيتحمّل المسؤولية بعد انهمار صواريخ حزب اللّه عليهم.

أما المحلل السياسي الصهيوني عميت سيفل الذي أشار الى تدهور وضع كيانه الى درجة «أنّ منظمة حزب اللّه نجحت في تهجير عشرات الآلاف من مستوطني الشمال، ورغم ذلك لا يزال كبار المسؤولين يبرّرون بأنه لا يمكن ان يكون الأمر غير ذلك».

هذا هو مشهد الكيان المأزوم والمهزوم رغم كلّ الدعم الأميركي والغربي له، ورغم كلّ ما ارتكبه من مجازر بحق الشعب الفلسطيني، إلا أنّ ذلك لم يحقق له أيّ هدف من أهداف عدوانه الذي لم يحرّر أسيراً من أسراه وفشل فشلاً ذريعاً في القضاء على المقاومة في غزة ويصرّ على استكمال عدوانه باجتياح رفح وهو العاجز عن وقف صواريخ المقاومة التي طالت بالأمس موقع كرم أبو سالم بغلاف غزة وأدت إلى سقوط ٤ جنود من فرق مختلفة بينهم جندي من الكتيبة ٩٣١ في لواء ناحال.

وفي هذا الإطار نشر موقع «زمان إسرائيل» العبري: في افتتاحيته تقييماً لأداء جيش العدو مظهراً مدى التراجع في أدائه القتالي، ومشيراً الى انه من المفترض أن يكون (الجيش الإسرائيلي)، باسمه الكامل، هو (جيش الدفاع الإسرائيلي)، لكن دراسة المهام الدفاعية التي قام بها الجيش الإسرائيلي على مرّ السنين تثبت أنه فشل تماماً في حماية «إسرائيل».

في ٧ أكتوبر، فشل الجيش الإسرائيلي في معركة الدفاع عن «حدود دولة إسرائيل»، وهي مهمته الأساسية منذ قيامه، إنّ أحداث ٧ أكتوبر هي أخطر فشل منذ قيام الدولة، لكنها ليست أحداثاً نادرة.

فالجيش الإسرائيلي لا يعرف كيف يخوض معارك دفاعية، وجنوده غير مدرّبين على الدفاع عن المواقع الاستيطانية، والكيبوتسات، والسياج الحدودي.

كان الجيش الإسرائيلي في السابع من أكتوبر جيشاً غنياً، غنياً بتقنيات الهجوم في مجال الصواريخ، وقوة جوية تمتلك أفضل الطائرات الحديثة والطائرات بدون طيار والدبابات والعربات مع نظام دفاعي تحميها من الصواريخ المضادة للدروع، ومع ذلك لم يتمكن من حماية سكان الغلاف رغم كل الإمكانيات والميزانيات والقوى البشرية التي أتيحت له.

فشل ذريع وغرق في مستنقع المقاومة الذي حوّل كيان العدو وجيشه على كل الجبهات إلى جيش يتخبّط بأزماته تتآكل قوته يوماً بعد يوم بعدما كان جيشاً هجومياً له تاريخ حافل بالإجرام والمجازر والعمليات الخاصة والإغتيالات في الداخل والخارج وبات نمراً من ورق أُسقطت هيبته على أيدي المقاومين وتهاوت قدراته رغم ما يمتلكه من ترسانات أسلحة متطورة ورغم كل الدعم الأميركي والغربي له إلا أنه تحوّل الى جيش مهزوم يمارس إجرامه على المدنيين وينشط دبلوماسياً لكسب المزيد من الوقت بدعم الدول العربية المطبّعة علّه يحقق إنجازاً لم يحققه بإجرامه.

لكن واقع الحال يقول انّ المقاومة التي صمدت سبعة أشهر على كلّ الجبهات قادرة على الصمود أكثر واستنزاف جيش العدو بشكل أكبر ولا تزال لها اليد العليا، وهنا لا بدّ من الإشارة الى ما قاله روعي كونكول المتحدث السابق باسم زعيم المعارضة يائير لابيد للقناة ١٢ العبرية معتبراً «أنّ حزب اللّه من دون دبابات ولا طائرات من دون أن يضع قدماً واحدة على الأرض «احتلّ» (شمال إسرائيل) وليس لنا سيادة على طول المنطقة الحدودية»، وهذا يعني انّ المقاومة هي التي تملك زمام المبادرة وتقول الأمر لي.

دول سايكس ـ بيكو وأميركا مسؤولتان عن نكبة النازحين

د. عصام نعمان

النازحون أزمة عاتية تعانيها معظم دول المشرق العربي. هي في الأساس من صنع دول مخطط سايكس ـ بيكو (بريطانيا وفرنسا) إلاّ أنّ دولاً أخرى أبرزها الولايات المتحدة شاركت في صنعها.

مخطط سايكس ـ بيكو (١٩١٦) انطوى في البدء على محورين سياسي وديموغرافي. المحور السياسي قضى بتقسيم ميراث السلطنة العثمانية المنهزمة في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨والمنسحبة من بلاد الشام وبلاد الرافدين والحجاز واليمن الى إقامة دول لبنان وسورية والعراق والأردن والحجاز، وبانسحابها من اليمن الساحلي مكّنت اليمن السعيد باستقلاله من ضمّه الى دولته.

فلسطين احتلها الاستعمار البريطاني الذي انتدب نفسه على العراق والأردن أيضاً. فرنسا انتدبت نفسها على لبنان وسورية. وكانت بريطانيا قد أعلنت وعد بلفور الذي منحت بموجبه اليهود «الحق» بوطن قومي لهم في فلسطين، ثم ما لبثت أن انسحبت من فلسطين سنة ١٩٤٨ لتمكين اليهود الصهاينة من إقامة دولة لهم فيها.

المحور الديمغرافي انطوى على سياسات وخطط قضت بتقسيم كلٍّ من لبنان وسورية والعراق الى مناطق ذات طابع طائفي ومذهبي غالب.

المثير والمقلق أنّ كلا الحكمين الفرنسي في لبنان وسورية والبريطاني في العراق والأردن وفلسطين كانا يستخدمان القبائل والعشائر والطوائف والتجمّعات المحليّة الكائنة في مكان سيطرتهما الواحدة ضدّ الأخرى كي يوطدا سلطتهما ونفوذهما، الأمر الذي عمّق العصبيات المحلية والطائفية والمذهبيّة وتسبّب في نزوح بعض الأقليات من مناطق إلى أخرى كانت الغالبية فيها من طائفة النازحين.

غير أنّ الطامة الكبرى حدثت بعد ذلك في كلٍّ من العراق وسورية. ففي العراق، أعقب الغزو الأميركي لإسقاط نظام صدام حسين سنة ٢٠٠٣ عزفٌ شديد على الأوتار الطائفية والمذهبية ما تسبّب بنزوح جماعات كبيرة من قبائل ومذاهب متعددة من منطقة إلى أخرى. الأمر نفسه حدث في سورية في أعقاب التدخل الأميركي سنة ٢٠١١ حيث جرى استجلاب مجموعات إسلاموية من الخارج متحالفة مع شبيهات لها في الداخل لمحاربة الحكومة المركزيّة في دمشق، كما لمحاربة مجموعات أخرى ذات طابع سياسي أو مذهبي مغاير تسبّب بحرب أهلية دامت أكثر من سبع سنوات الى ان استعادت الحكومة المركزية سيطرتها على معظم المناطق التي كانت مسرحاً لاشتباكات عسكرية طويلة خلّفت أضراراً بشرية ومادية كثيرة وباهظة.

في لبنان، اندلعت اضطرابات دامية خلّفت أضراراً من نوعين: الأول مصدره اصطدامات طائفية سنة ١٩٧٥ تطورت الى حرب أهلية لم تتوقف إلّا بعد إقرار اتفاق الوفاق الوطني في الطائف (السعودية) سنة ١٩٨٩. الثاني مصدره

نزوح جماعات من المسيحيين والمسلمين من مناطق كانوا يشكّلون فيها أقليّة الى أخرى يشكّلون فيها أكثرية.

زاد الطين بلّة، أنّ الحرب الأهلية في سورية تسبّبت بتردّي الأوضاع الاقتصادية والبطالة، وبالتالي الى هجرة لا أقلّ من ثلاثة ملايين سوري الى لبنان ما تسبّب بتعميق الأزمة الاقتصادية والمعيشية المستشرية أصلاً.

في فلسطين، لم تتورّع «إسرائيل» بدعم من الولايات المتحدة عن تدمير أقسام واسعة من المدن والبلدات في قطاع غزة وتهجير سكانها الى جنوب القطاع والعمل بلا هوادة لتهجيرهم الى صحراء سيناء المصرية، كما العمل بالوتيرة نفسها لتهجير سكان الضفة الغربية الى الأردن.

يتّضح من مجمل ما تقدّم بيانه أنّ لبريطانيا وفرنسا، كما للولايات المتحدة، إسهاماً قديماً وواسعاً وعنيفاً في أزمة النازحين التي يشكو منها لبنان وفلسطين خصوصاً، وسائر دول المشرق العربي عموماً، الأمر الذي يستوجب تحميلها مسؤولية الأضرار التي لحقت وتلحق بالنازحين في الدول التي نزحوا منها أو اليها.

من المفارقات المضحكة المبكية انّ إحدى دول سايكس ـ بيكو، فرنسا، أخذت تشكو من مخاطر نزوح النازحين السوريين إليها فتظلّمت أخيراً الى الاتحاد الأوروبي الذي قام بإيفاد رئيسة المفوضية الأوروبية اورسولا فون دورلاين برفقة الرئيس القبرصيّ نيكوس خريستو دوليسيدس الى لبنان بغية الضغط على حكومته لتشديد تدابيرها الهادفة إلى منع النازحين السوريين من التوجّه بحراً الى قبرص وفرنسا وسائر الدول الأوروبية المتوسطية.

غير أنّ المسؤولة الأوروبية لم تنسَ انّ ما تطلبه من الحكومة اللبنانية لا يمكن أن يؤتي ثماره بلا ثمن. فكان أن أعلنت اعتزام الاتحاد الأوروبي دعم لبنان بمبلغ مليار يورو على ٤ سنوات كي توزّع على «دعم الخدمات الأساسية للفئات الأكثر ضعفاً بمن فيهم اللاجئون والمهجرون داخلياً والمجتمعات المضيفة، والمساندة في الإصلاحات التي يطلبها صندوق النقد الدولي، ودعم إدارة الحدود والهجرة، وتعزيز الدعم المقدّم للجيش اللبناني».

هذه المساعدات الهزيلة اعتبرتها الدوائر الرسمية كما القوى الوطنية في لبنان مجرد رشوة لضمان السكوت عن سياسة أوروبا التي تدعمها أميركا والقاضية بالضغط على لبنان لإبقاء النازحين السوريين في ربوعه، والعمل على توطينهم فيها للحؤول دون نزوحهم الى دول أوروبا والتسبّب بازدياد منافسة الأيدي العاملة الأوروبية.

هذا في لبنان وسورية، أما في فلسطين فقد انبرت الولايات المتحدة الى «مساعدة» النازحين بإلقاء حِزَم الأغذية من الجو على شاطئ غزة، حيث يقع بعضها على رؤوس الفتيان المتنافسين على تلقيها فيُقتل بعضهم وتقوم القوات الإسرائيلية بحصد بعضهم الآخر، بعدما وجدت في تجمّعهم على الشاطئ لتلقي رزم الغذاء مصيدةً مناسبة لقتل الكثير منهم.

إنّ مشكلة النازحين في أيّ دولة عربية مشرقيّة اليوم ليست محلية بل هي جزء من مشكلة عربية عامة، وعلى الحكومات العربية المتضرّرة من عمليات النزوح المتواصلة ان تتفق في ما بينها على سياسة تقوم بموجبها بتحميل دول فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة مسؤولية الأضرار البشرية والمادية الناجمة عنها، وأن تقوم تالياً بصرف التعويضات المتوجبة في هذا السبيل. كما يجب الضغط على حكومات أوروبا وأميركا كي تضغط بدورها على الأمم المتحدة ومؤسساتها ذات الصلة كي تعدّل شروط المساعدات الماليّة التي تدفعها للنازحين السوريين في لبنان بحيث يكون تسديدها إليهم مشروطاً بعودتهم الى الإقامة في مناطق سكنهم الأصليّة في سورية. ذلك أنّ تسديدها في لبنان يشجّعهم على البقاء والتوطّن فيه، ويخدم سياسة دول أوروبا وأميركا الساعية الى توطينهم في لبنان وإيجاد ميزان ديموغرافي جديد في البلاد من شأنه التسبّب بنزاعات بين قيادات الطوائف المتصارعة على السلطة والنفوذ من جهة، ومن جهة أخرى بدعم نفوذ بعض القيادات التي تمانع باعتماد سياسة توطين النازحين السوريين لكونهم من غالبيّة مذهبيّة معينة.

الحقيقة أنّ المنظومات الحاكمة في معظم عالم العرب لا يُرتجى منها مبادرة فاعلة. لذا يجدر بالقوى الوطنية والنهضوية الحيّة المبادرة للضغط عليها كي تتوافق وتتضامن بغية الضغط على دول أوروبا وأميركا والأمم المتحدة لتسهيل إعادة النازحين الى ديارهم من جهة، ومن جهة أخرى بغية إقامة صندوق عربي للإغاثة والرعاية الاجتماعية تموّله الدول العربية المتضررة من النزوح تصديراً واستقبالاً والدول النفطية الغنية كي يسهم بدورٍ في عملية إعادة موضعة النازحين في ديارهم.

نعم، على دول سايكس ـ بيكو وأميركا أن تعوّض النازحين العرب في ديارهم المشرقية الأضرار التي ألحقتها بهم نتيجة سياستها الاستعمارية البغيضة.

عنجهيّة وزير خارجية أميركا تجسيد لانهيارها

د. جمال زهران

للمرة الأولى يأتي وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، إلى المنطقة العربية بهذه الكثافة منذ حدوث عملية «طوفان الأقصى»، والتي مضت عليها سبعة أشهر حتى الآن، لدرجة أنه يمكن احتساب زيارة شهرية تقريباً، يقوم خلالها بزيارة عدة عواصم عربية، ويبدأ أو يختم بالكيان الصهيوني ومقابلة «حبيب القلب» النتن/ياهو، وعصابة الحكم في الكيان، شركاء هذا المجرم في ارتكاب أبشع الجرائم في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، التي شهدت الجرائم والمجازر العلنية!

فهذا الرجل (بلينكن) قد أعلن أنه ليس يهودياً، فحسب، وإنما صهيوني وداعم للكيان الصهيوني بكلّ ما يملك! إذن هو قد أعلن عن هويته، ورغم ذلك هناك من يتفاوض معه، ويثق به من حكام الإقليم. فهو فاقد الثقة والاعتبار، منذ أن أعلن عن صهيونيته، وليس عن يهوديته فحسب! ومن ثم لا يجوز أبداً أن يتمّ استقباله وكأنه فاتح لـ «عكا»، حتى ينحني الجميع أمامه، ويستقبلونه في كلّ العواصم العربية ومطاراتها، بالسجاد الأحمر، تعبيراً عن البهجة والفرح! وإذا سألت هؤلاء، لماذا لا تعبّرون عن غضبكم مما يفعل، دفاعاً عن قضية العرب الأولى والمركزية، يقولون بسرعة: إنه «البروتوكول»، وردّي أنّ هناك من يعلن الغضب بكسر قواعد البروتوكول، للفت

نظر الضيف! وهذا ما حدث في زيارته الأخيرة للعاصمة الصينية (بكين)! إنما هي الإرادة المفقودة لدى حكام الإقليم العربي بكلّ أسف، ممن يتظاهرون بدعم القضية الفلسطينية، بينما هم يطعنونها بخناجر مسمومة!

كما أنّ رئيس هذا الرجل، وهو الرئيس الأميركي جو بايدن، سبق وزير خارجيته (بلينكن)، بالقول إنه صهيوني بشكل كامل، وإن «إسرائيل»، إنّ لم تكن موجودة، لأوجدناها، تحقيقاً لمصالح أميركا والغرب! وسارع فور عملية «طوفان الأقصى»، لزيارة الكيان الصهيوني، والالتقاء فوراً بـ «النتن/ياهو»، وأخذه بالأحضان، وربّت على كتفه، وطبطب عليه، واعداً إياه بالدعم والمؤازرة، بشكل كامل، قائلاً له: استمرّ في حربك ولا تقلق، فكلّ مخازن الأسلحة ومليارات الدولارات، في خدمتك، ومجلس الأمن، إنْ لم يدعمك، فإنه لن يقف ضدك! ولذلك كان الفيتو الأميركي، مرفوعاً عند نظر أيّ مشروع لوقف إطلاق النار والحرب على غزة، وإدانة الكيان الصهيوني، حتى أصبح مجلس الأمن مشجعاً على الحرب والعدوان، وتهديد السلام العالمي والاستقرار في إقليم المنطقة العربية، والشرق الأوسط، بل والعالم، والمفروض أن يقف لدعم السلام والاستقرار الإقليمي والعالمي!

إذن نحن أمام رئيس أميركا، وأركان حكمه (وزير الدفاع – وزير الخارجية/ وزير المالية إلخ...)، وبجوارهم مجلسي النواب والشيوخ (الكونغرس)، يدعم الإدارة الأميركية، ويصدّق على قراراتها، وآخرها تخصيص (٢٦) مليار دولار، لدعم الكيان الصهيوني، إضافة إلى دعم أوكرانيا وتايوان!

والسؤال: ماذا يُنتظر من هذه الإدارة الأميركية؟! هل من المنتظر إجبار الكيان الصهيوني – وهي تقدر على ذلك – على وقف حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في غزة، على مدار الأشهر السبعة الماضية؟ هل من المنتظر، أن تأتي العدالة على طبق من الإدارة الأميركية؟!

فلقد أصبحت أميركا وإدارة بايدن وأركان حكمه، هي العدو الأول للعرب، وهم مع الكيان الصهيوني بشكل سافر وفاجر وعلني، وهم ضدّ الشعب الفلسطيني خاصة والعرب عامة، ومن ثم فإنّ الوضع الطبيعي، ألا نتعامل معهم بالانبطاح وتكريس التبعية، وإثبات الطاعة، لهذا العدو، بل إنّ الواجب يفرض علينا، إعلان العصيان على هذا العدو الأكبر وهو أميركا، وهو العدو الأصيل، بينما العدو الصهيوني، هو العدو التابع والأداة في تفريق العرب، وفصل الحكام عن شعوبهم، والحيلولة دون الوحدة والتقدّم! وبدون هذا العصيان، ستظلّ هذه المنطقة العربية بحكامها وشعوبها، تابعين، ومنبطحين، ومنهوبين!

إلا أنّ المقاومة على مدار سبعة أشهر، وبدأنا الشهر الثامن، في واقعة لم تحدث من قبل على مدار (٧٦) عاماً، منذ حدوث النكبة الأولى في عام ١٩٤٨م، حيث تمّ فرض الكيان الصهيوني على الإقليم، أثبتت أنّها القادرة على رفع راية العصيان ضدّ المشروع الأميركي وتابعه الكيان الصهيوني، وإذلاله، وإفقاده التوازن، وإشعاره بأنّ هزيمة كبرى يمكن أن تحدث له، وقد حدثت فعلاً. فماذا فعل ويفعل وزير خارجية أميركا في الإقليم، وماذا يعبّر عن الحالة التي وصلت إليها أميركا المنهارة التي أصبحت غير قادرة على تمرير أي تسويات مطروحة من خلالها، بل إنّ نظمها التابعة انهارت في فرض ما تريده أميركا وهي السيد الأكبر الذي لا يُرفض له طلب!

فقد جاء وزير خارجية أميركا (بلينكن)، متعالياً، بالقول، على حماس أن تنفذ ما نريد، وتقبل ما يُعرَض عليها، كآخر محاولة، إذا أرادت أن تنقذ شعبها!

وكأنّ ما جرى مع هذا الشعب من جرائم خلال الشهور السبعة غير كافٍ! وبتحليل لغة الخطاب الذي يتفوّه به وعلى أرض عربية، هي المملكة السعودية، يتضح أنه يتحدث بلغة الفرض والأمر، ويمارس أسلوب التعالي والغرور والعنجهية بلا حدود أو سقف، لأنه يخاطب التابع، بينما المقاومة ليست تابعاً للهيمنة الأميركية ولن تكون. كما أنّ بلينكن، يقول للكيان الصهيوني: نحن لا نوافق على اقتحام رفح، إلا بعد تأمين عملية خروج المدنيين، حتى لا تكون الخسائر كبيرة! يا اللّه! فأميركا توافق على اقتحام الكيان الصهيوني لـ «رفح»، بشرط تقليل الخسائر في الأرواح، وكأنّ هذا الكيان لم يرتكب جرائمه طوال الأشهر السبعة الماضية، بالإبادة الجماعيّة للمدنيين في غزة، وراح ضحيتها (٣٥) ألف شهيد، (٨٠) ألف مصاب! بالإضافة إلى هدم المستشفيات والمساجد والكنائس والمدارس والمنازل، تحت سمع وبصر العالم، وفي المقدمة أميركا، التي وافقت أصلاً على قيام الكيان الصهيوني بهذا العدوان الواسع!! ومثل هذا التصريح، يعني مشاركة أميركا في القتل ودعمه والخلاف في الطريقة!

إنّ تتبع أسلوب وزير خارجية أميركا، ورئيسه (بايدن)، يكشف عن عنجهية وغرور غير موثوق، يصاحبه عدم الثقة في هذه الإدارة، مثل غيرها، غير أنّ الأهمّ أنه يعبّر عن عجز أميركي واضح، وانهيار متسارع للقوة الأميركية، ستتأكد كلّ يوم، والأيام شاهدة، والمقاومة في انتصار دائم...